المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 15A تشرين2 2024
No.15A Nov 2024

نهج البلاغة والمقام النبوي والرسالي والبشري للنبي الاكرم (صل الله عليه وآله وسلم)

أ.م. ياسمين حاتم بديد الابراهيمي
جامعة كربلاء/ مكتب المساعد الاداري

الملخص:

ان القدوة والاسوة الحسنة تحتاج لبيان خصائصها ومقامها الى شخص في مستواها حتى يستطيع ان يستشف عبق تلك الشخصية العظيمة ويستشرف مقامها السامي وبما ان علي امير المؤمنين (عليه السلام) هو نفس النبي (صل الله عليه و آله وسلم) بصريح القرآن الكريم ومن غذاه و ربّاه الرسول الاعظم، فكان مرافقاً للنبي منذ نعومة اظفاره وعلى طول بعثته المطهرة زماناً ومكاناً، ان النصوص البلاغية الشريفة التي تناولت تلك المقامات الرفيعة لشخصية النبي العظيمة كان لها اثراً مركّزاً في نفوس المسلمين وغير المسلمين فقد استطاع علي بن ابي طالب (عليه السلام)من استخدام الالفاظ الرائعة والعظيمة للإقناع وجملاً خالية من الكذب والنفاق بذلك نرى ان هذه الخطب قد اخذت مجالاً واسعاً لدى الطبقات المجتمعية المختلفة، اقتصر بحثنا على بعض من تلك المقامات النبوية الشريفة، حاولنا استنباط هذه المقامات من النصوص البلاغية للنهج المبارك وبيان المكانة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى للنبي الاعظم وكذلك في الامة التي بعث فيها ومن خلال هذه المقامات يتضح الدور المهم الذي تبناه النبي الاكرم في اصلاح هذه الدنيا جميعاً.

الكلمات المفتاحية: النبوة، الرسالة ، نهج البلاغة، بشرية النبي، الامام علي(عليه السلام)

Nahj al-Balagha and the prophetic, messenger, and human status of the Noble Prophet (May God bless him and his family and grant them peace)

A.P. Yasmine Hatem Badid Al-Ibrahimi
University of Karbala/Office of the Administrative Assistant

Abstract:

The role model and good example need to indicate its characteristics and status to a person at its level so that he can discern the fragrance of that great personality and foresee its lofty status and since Ali Commander of the Faithful (peace be upon him) is the same Prophet (peace be upon him and his family) frankly the Holy Quran and nourished and raised by the greatest Prophet, he was accompanying the Prophet since his childhood and along his purified mission in time and place, that the honorable rhetorical texts that dealt with those high places of the great personality of the Prophet had an impact Centrally in the hearts of Muslims and non-Muslims, Ali bin Abi Talib (peace be upon him) was able to use wonderful and great words for persuasion and sentences free of lies and hypocrisy so we see that these speeches have taken a wide field among the different social classes, our research was limited to some of those honorable prophetic shrines, we tried to deduce these (maqamat) from the rhetorical texts of the blessed approach and the statement of the high status of God Almighty for the greatest prophet as well as in the nation in which he was sent and through these shrines The important role adopted by the Holy Prophet in reforming all this world is evident.

Keywords: Prophecy, Message, Nahj al-Balagha, The humanity of the Prophet, Imam Ali (peace be upon him).

المقدمة:

ان خير من يبين لنا المقام السامي للنبي الاعظم(صل الله عليه و آله وسلم) هو من وصفه القرآن الكريم(انفسنا) في قوله تعالى:" فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ"(سورة آل عمران: اية/ 61) الا وهو علي بن ابي طالب(عليه السلام) اخو رسول الله وابن عمه وصنوه والذي ذاب في حب الله وفي حب رسوله، وقد خبرته المواقف الحازمة فوجدته كالطود الشامخ ثابت الايمان تتحطم على سواحله امواج الكفر والالحاد، وهو بعد ذلك مفرج الكرب والهم عن وجه رسول الله لبقاء الاسلام مستقيماً قوياً لا انحراف له حتى فتح الله على يديه قلاع اليهود وفتح مكة.

ان الهدف الاسمى الذي كانت ترنو اليه ابصار المؤمنين و على رأسهم اميرهم علي(عليه السلام) واعلاء كلمة لا اله الا الله وهذا واضح جلي اذا قرأنا خطبه وحكمه ورسائله وفي جميع حالاته في السلام والحرب والشدة والرخاء فبالإضافة الى بلاغته وبيانه نجد لطافة النظم والتعبير، فأننا نجد في بلاغته ونهجه الذي اتبعه في صياغة هذا الصرح الذي هو دون كلام الله وفوق كلام البشر، هذا الانسان الذي اقترن ذكره بذكر الرسول الاعظم فمنذ ان تولى الرسول الاكرم تغذية وتربية علي بن ابي طالب"ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ويلقمنيه"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج13، ص197)، وحتى استشهاد الرسول محمد(صل الله عليه و آله وسلم) لم يفارقه او يغيب عنه لذلك نرى عندما صعد المنبر وبين مقام الرسول ومنزلته الرفيعة التي وضعه الله في الدارين الاولى والاخرة، ولا ندعي اننا استطعنا في بحثنا هذا ان نحيط الاحاطة التامة والكاملة بهذه المقامات الشريفة لنبينا نبي الرحمة ولكننا وقفنا على ظواهر الالفاظ التي وردت في خطب وحكم امير المؤمنين علي(عليه السلام).

لقد ابرز علي ابن ابي طالب(عليه السلام) مستوى الرفعة للنبي الاعظم لدى الله سبحانه وتعالى وبالتالي عند نفوس المؤمنين وكذلك دوره كمصلح للحياة كلها مستخدماً اسلوباً من الخطابة والبلاغة مربوطاً ومسبوكاً بأحرف والفاظ ذات دلالات ضخمة تستطيع ان تدخل الى قلوب ومسامع الناس، ان من سمات الخطبة ابتداءها بالحمد والتسبيح لله سبحانه وتعالى ومن ثم يعطف على بيان منزلة و مقام الرسول (صل الله عليه و آله وسلم) ومنها ينطلق باستخدام باقي مفاتيح الكلام لتوضيح ما يراد توضيحه من حقائق تتعلق النفس الانسانية بخالقها ثم يفصل الاستحقاقات المتبادلة بين الخالق وخلقه وكذلك صاحب الرسالة الحقة وتحمل هذه الخطبة بين طياتها دافعية قوية على الاقناع لما تحمله من طمأنينة وتهيئة النفوس لتلقي هذه المخرجات الصادقة، نحن نعلم من خلال الدراسات النفسية لعلم الخطابة والمحاجة انه لابد ان يكون المتحدث مدركاً لحال الشخص المتلقي لكلامه لما يمتلك من تصورات ومفاهيم وافكار واليات ردود الافعال لأفكار المتكلم فلابد للخطيب ان يجعل في مقدمة خطبته موضوعاً تحمله الفاظاً تهز مشاعر المتلقي فتنقلب افكارهم، وهذا ما نراه جلياً في معظم خطب علي بن ابي طالب(عليه السلام) وخطبته بعد رجوعه من صفين حيث نرى انه بدأ خطبته بالحمد لله و وحدانيته وصاغها بصياغة وصفية تجعل النفوس مطمئنة بها ثم الحقها بشهادة حق الرسالة التي حملها الرسول (صل الله عليه و آله وسلم) والتي من اجلها حاز على مرتبة العبودية وكان حقاً حبيباً لله سبحانه وتعالى وبعد الشهادة ابان عظمة الخالق واوضح المهام للرسول الكريم وما انتدب من اجله من مسؤوليات، وبين بعد ذلك كيف كان واقعه المعاش قبل البعثة وما بعدها فأظهر عظمة الرسالة وصاحب الرسالة.

المبحث الاول: مقام النبوة وما يشتمل عليه من خصائص

ان النبي(صل الله عليه و آله وسلم): هو الذي ينبئ عن الله سبحانه وتعالى وفي اللغة: النبوة مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر(ابن منظور، 1414هـ، ج1، ص،162-163)، أو هي المكان المرتفع أو الرفعة(الطباطبائي، 1417هـ، ج14، ص58)، أو مأخوذة من النبيء و هو الطريق الى الله(الزبيدي، 1414هـ، ج1، ص257).

والنبأ: هو الكلام الصحيح الصادق الذي ينبئ بالغيب، والنبأ هو عكس الخبر وليس كما يقولون ان النبأ هو الخبر(الجواهري، 1407هـ، ج1، ص74)، وذلك ان الخبر قد يحتمل الصدق أو الكذب اما النبأ فهو صدق وحق لأنه احد بينات اثبات صدق دعوى النبي وقد تكون النبوة عامة او خاصة، اذاً الرسول (صل الله عليه

و آله وسلم) و هو يحمل الرساله الالهية يؤيد بالنبوة لإثبات صدق رسالته التي يحملها من الله سبحانه وتعالى:" وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"(سورة يونس، اية: 37)، و قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"(سورة الجمعة، اية: 2)، وهذا يعني ان المبعوث من نفس الطبقة الاجتماعية والمجتمعية للامة ولكنه يمتاز عن مجتمعه بان الله اجتباه واصطفاه(سورة آل عمران، اية: 33) لحمل ثقل رسالته الى امته فتكون هدايته وعنايته تحت رعاية الله سبحانه وتعالى فيوحي اليه اما بالمباشر او بالواسطة" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" (سورة الانبياء، اية: 25)، وبالعموم هي وسائط لنقل المعارف ليتم بعد ذلك نقلها من الفيض الالهي الى الناس ومن خلالها تتم السعادة وفي خلافها يدخل بني البشر في عيشة ضنكا" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"(سورة طه، اسة: 124)، وقد قال تعالى في محكم كتابه" وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ"(سورة الشورى، اية: 51)، لقد ركز الامام علي(عليه السلام) في نهجه على مقام النبوة والتي تناولها امير المؤمنين(عليه السلام) على مستوى عام ومستوى خاص فمن جهة ان الاصطفاء الالهي للأنبياء من قبل سبحانه وتعالى:" قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ"(سورة النمل، اية: 59) فهم كلهم يمثلون اتجاه واحد في اساس دعوتهم الى التوحيد وهدفهم واحد" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"(سورة الانبياء، اية، 25) بالرغم من اختلاف طرق واساليب والمنهج لدعوة كل نبي وهذا اكيداً واضحاً جدا على اعتبار التغير في الزمان والمكان ولكن الاصل واحد والهدف واحد، ومرة اخرى يأخذ النبوة بشكل خاص على اعتبار ان الانبياء لكل واحد صفة وخلقة وظروف اختبارات الهية خاضعة بالوصول الى الاصطفاء وقصة خاصة به مع الشيطان الرجيم" وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"(سورة الاعراف، اية: 200)، فتناول بالمجمل احوال كل نبي واشار الى زهدهم وصفاتهم ولباسهم والطواغيت الذين حاصروهم وما حل بهم، وعند حديثه على خاتم الانبياء فقد ركز اكثر بخصوصيته على جوانب السيرة النبوية ومن وجهة نظر خاصة بالامام علي نحو النبي الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) هذه النظرة حاول من خلالها ان يضع بعض الخصوصيات النبوية والتي تنسجم مع باقي خصوصيات الانبياء واتفاقها مع وظائف وسمات والميزة المهمة التي اختص بها النبي (صل الله عليه وآله وسلم) عن باقي الانبياء هي خاتم الانبياء مما جعله مهيمنا عليها جميعاً" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ....."(سورة المائدة، اية: 48).

ان النعوت والصفات التي تحدث عنها علي(عليه السلام) في نهجه قد تناولها على مستويات قرآنية(ناصر، 1433هـ، ص62- 172) منها النبوة والرسالة والاصطفاء و الخاتمية والبشير والنذير والامي وعبد الله والرشيد والنجيب والمجتبى والمأمون والامين والرضي والاطهر والاطيب وما الى ذلك من الصفات التي وصفها سبحانه وتعالى لنبيه في كتابه المجيد وفي كل موضوع من مواضع كلام الله لها معنى مغايراً لمعناها اذا اتت منفردة او اضافة، فلفظة النبي وحدها والمرسل وحدها لكل واحدة معنى خاص بها ولكن عندما تقترن اللفظتان فلها معنى مغاير مركب ولها بعد واسع من الطاف الله لعباده وهذا اللطف يشمل جميع الخلق دون زمان عن زمان اخر والنبي المرسل يعتبر التطبيق العملي للنظرية الالهية وبذلك يكون بينة بالغة على الخلق" بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلاَ إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ"(ابن ابي الحديد ، 1387هـ، ج9، ص84)، وايضاً"أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عُذره، وتقديم نُذره" (المصدر نفسه، ج6، ص241).

من مقام النبي الاعظم هو توكيد اداء مواثيق الفطرة (التوحيد) قال تعالى:"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ..."(سورة الروم، اية: 30)، فالنبي عليه افضل الصلاة والسلام في جهاده يحاول تصفية النفوس البشرية من الشوائب والانحرافات مما يفسح المجال للفطرة السليمة الى ان تشرق في ذات الانسان(ابن القيم الجوزية، د.ت، ج1، ص 371-372)" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ"و" أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ"(سورة الاعراف، اية:

172-173)، وهذا هو معنى ان النفس البشرية هي عبارة عن صفحة بيضاء ولكنها تتأثر بما يكتب فيها بغض النظر عن ان كانت هذه الفكرة رحمانية او شيطانية(الطوسي، 1406هـ، ص245-249)، وعند ملاحظة قول امير البلغاء"ليستأدُوهم ميثاقَ فِطْرَته"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص114) يعني ان الانبياء جادون بتوجيه الناس الى الايمان الحق بطرق الهية صحيحة.

ان عمل الانبياء وخاصة خاتمهم هي ذات خطوات تراتبية لا تنفك الخطوة عن الاخرى باعتبارها مجموعة مترابطة ونستطيع ان نقول ان كل نبي يرث من سبقه، وبيناتهم لا تتقاطع و لا تتنافر بغض النظر عن ان هذه البينات متفاوتة في الدنو والارتفاع ونستطيع ان نستخلص بعض خصائص هذه البينات الالهية والتي مارسها الانبياء في مقاماتهم:-

1-ان هذه البينات الالهية تتميز بالبداهة العقلية(الصدر، 1412هـ، ص59-60)، فلا يمكن رفضها لذلك سميت بينات" وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ"(سورة البقرة، اية: 99).

2-ان البينات الالهية تكون ذات نظام تراتبي منتظم وكل بينة حقيقية هي ضد البينة الكاذبة كقوله تعالى:"وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ"(سورة الشعراء، اية: 223) فهؤلاء هم الانبياء الزائفون.

3- نستطيع ان نميز بين البينات الالهية والتي يأتي بها النبي(عليه افضل الصلاة والسلام) هل هي حقيقة واقعية ام لا؟ كما في قوله تعالى:" قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ"(سورة طه، اية: 66).

4- تنقسم البينة الالهية الى بينة علمية وبينة عملية، فالبينة العلمية هي اعمق من البينة العملية ونجدها في قوله تعالى عند محاجّة نبي الله ابراهيم(عليه السلام) مع النمرود"فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ "(سورة البقرة، اية: 258) وذلك لان الطواغيت مهما بلغوا بتجبرهم لا يستطيعون ان يأتوا بالبينات العلمية ، اما البينات العملية نجد ان العقلاء والحكماء لا يهتمون بها مثل المسير على الماء والطيران في الهواء.

5- البينة الالهية الحقيقية تمتاز بالسكينة ومكارم الاخلاق، فالفطرة السليمة تستطيع ان تستشف البديهية دون اي عارض، فبمجرد ان يلمس رذائل الاخلاق في اي بينة يحكم عليها العقل بفطرته ان هذه بينة زائفة وهذا ما نجده حتى عند الكائنات الحية مثل الهدهد فقد استنكر سجود القوم للشمس " وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ"(سورة النمل، اية: 24) و قوله عز وجل" وصَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّها كانَتْ مِن قَوْمٍ كافِرِينَ"(سورة النمل، اية: 43).

6- يعتبر الاصطفاء والعصمة من لوازم البينات الحقيقية كقوله تعالى:" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"(سورة آل عمران، اية: 42)، وبالرغم من هذا الاصطفاء والعصمة التي من الله سبحانه وتعالى على انبياءه واولياءه تكون هناك بينة فوق حجته وهي بينة الله " أَطِيعُوا اللَّهَ" وهذا الخطاب شامل للجميع من خاتم الانبياء والى بقية الانبياء والبشر والمرتبة الثانية " وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" وقد قرن سبحانه وتعالى طاعته بطاعة رسوله وهذا مقام سامي (الطباطبائي، 1417هـ، ج10، ص574).

7- ان الآية الكريمة " أَطِيعُوا اللَّهَ" تشمل الكل من خاتم النبيين و سيد الرسل الى باقي الناس، اما قوله تعالى:" وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" فهو للأوصياء والانبياء و الناس اجمعين(الطبرسي، ج3، ص 113)، فطاعة الله فوق طاعة النبي الخاتم وهذه الطاعة تعتبر من دلائل صدق النبوة، وحاز هذا المقام النبي (عليه افضل الصلاة والسلام) وسلم بالعبادة فاصبح"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"(سورة الفرقان، اية: 1) فمقام العبودية لله من اجل واعظم المقامات النبوية.
وبهذه العبودية لله اصبح انبياء الله كلهم على دين النبي الامي"مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"(سورة آل عمران، اية: 67) فهم اي الانبياء متحدون بالملة متفرعون بالشريعة، و هكذا نجد طلب النبي يوسف على نبينا و عليه افضل التحية و السلام"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

بِالصَّالِحِينَ"(سورة يوسف، اية: 101) وكذلك باقي الانبياء، وبهذه العبودية حاز النبي(صل الله عليه وآله وسلم)" طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ"(سورة طه، اية: 1-2) باقي الكمالات ومنها ما ينقله لنا أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهو الفارس الهمام انه كان يلوذ بسيف رسول الله(صل الله عليه واله وسلم)" كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج19، ص126) وقال ايضا "رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا"(الاصبهاني، 1998م، ج1، س314)، بل ان مقامات النبي (صل الله عليه واله وسلم) في باقي العوالم هي ايضا افضل من باقي الانبياء وكلما كان عالم الملكوت اعلى كانت مقاماته افضل واعلى قال تعالى مجده" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ ..."(سورة آل عمران، اية: 81) فكان الايمان بنبوة ورسالة محمد(صل الله عليه واله وسلم) هو ان الله سبحانه وتعالى يعطيهم النبوة و الحكمة، فيكون شافعا لهم جميعا.

ان من مقامات النبوة والوصي من بعده والتي ذكرها القرآن الكريم (الشاهد والشهيد) وهذا المقامان يمتدان الى العوالم الاخرى ايضاً فعالم المعاد والميزان والحساب كل هذه الامور مرتبطة مع الشاهد والشهيد" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا" و" يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا"(سورة النساء، اية: 41-42)، وكذلك" وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"(سورة الزمر، اية" 69)، توضح لنا هذه الايات ان هناك ادوار مهمة ومتعاقبة بالانبياء واوصايائهم (الشاهد والشهيد) في حساب الامم التي كانوا فيها وهذه الايات تفند الاراء التي تقول ان وظيفة الانبياء دنيوية فقط (تشريعية) بل هم ايضاً يرون الاعمال كما قال تعالى:" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"(سورة التوبة، اية: 105)، فهذا العمل غير التشريع بل هي عملية عرض الاعمال على النبي وبذلك تسقط الجملة المعروفة تاريخياً"فمَن كانَ مِنكُم يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ مَاتَ"(االذهبي، 1413هـ، ج1، ص 565)، فمقام النبوة ومقام الرسالة لاينقطعان بالموت فمن خلال تتبعنا للايات القرآنية في نعت النبي وصفاته يؤكد لنا لايوجد هناك انقطاع بل ارتباط مثلما كان هناك ارتباط تشريعي.

من المقامات النبوية مقام الخاتمية و من عظمتها ان بيانها من اعلى مراتب الانبياء و اكثر ثباتا و امتدادا، واكثر كمالا للعقل من امته، لذلك فاننا نقول من خلال دراسة التاريخ ان النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) اذا كان قد بعث الى امة جاهلة فالفرق بينه و بين امته هو التفاوت المعرفي و العلمي، بينما اذا بعث النبي في امة ذات معرفة و علم يستطيع ان يوضح لهم و يهديهم سبل النجاة لذلك قال(صل الله عليه وآله وسلم)"لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ"(المقريزي، 1420هـ، ج2، ص207)، و كذلك نحن نعلم ان من يحمل علما غير منتظما و فكرا مشوشا و معرفة ضبابية نراه هو من يجادل و يحاجج و يعترض، اما الباحث عن العلم و المعرفة فتكون اسئلته محددة و مركزة مثل كل الايات التي تبتديء بـ(يسألونك) ،اذا اضفنا ان كل الالفاظ الموجودة في القران و المعارف التي يحاجج النبي بها قومه هي معروفة و معلومة عندهم، وبمراجعة سريعه لايات القرانية" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(سورة النساء، اية 1) و" أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا"(سورة نوح، اية: 15) و غيرها الكثير الكثير نستطيع ان نفهم ذلك.

المبحث الثاني: مقام الرسالة و ما يشتمل عليه من خصائص

الرسالة: هي وسيلة من وسائل الاتصال بين ثلاث محاور الاول المرسل و الثاني الرسول و الثالث المرسل اليه(ابن منظور، 1414هـ ، ج11، ص281)

قال رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) يوماً لعلي(عليه السلام)"ياعلي لا يعرفك الإّ الله وأنا "(الريشهري، 1421هـ، ج8، ص185) ومن منطلق هذا الحديث الشريف نرى ان خير من يعرف النبي هو علي، فسنستدل بالالفاظ التي اختارها في خطبه لبيان مقامات الرسول قرآنياً لتتبسط لدينا هذه المفاهيم ونصل ولو الى مرحلة بسيطة من فهم هذا الرسول الكريم الذي قرنه الله عز وجل مع اسماءه الحسنى بدأً من الشهادة.

ان الفعل(أشهد) وهو يقع في اول الخطبة"وأشهد أن محمدا عبده ورسوله "(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج3، ص108) فهذه العبودية" وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"(سورة البقرة، اية: 23) التي اقترنت بحمل الرسالة الالهية وهذا التشريف والتكريم هو تعظيماً من الله سبحانه وتعالى ومقاماً سامياً ناله الحبيب المصطفى من خلال الاصطفاء الالهي في مرحلة اخذ المواثيق من الانبياء للشهادة له وتصديقه والايمان بالرسالة الخاتمة قال تعالى في مجمل كتابه الحكيم" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ....."(سورة آل عمران، اية: 81) نلاحظ ان الله سبحانه وتعالى اخذ العهد و الميثاق من النبيين للايمان و نصرة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ومن يتولى منهم فهو فاسق، بعد ذكر هذه الشهادة بدأ علي(عليه السلام) يفصل حديثه عن النبي الاكرم وصاحب الرسالة السمحاء فبدأ من العام الى الخاص لكي يبسط الفكرة ويجعلها مقبولة عند كل العقول التي يقصدها بخطبته على مر الدهور فقال:"أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ اَلْمَشْهُورِ وَ اَلْعَلَمِ اَلْمَأْثُورِ وَ اَلْكِتَابِ اَلْمَسْطُورِ وَ اَلنُّورِ اَلسَّاطِعِ..."(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص136)، ونحن نعلم ان الدين المشهور هو الطريق والنهج والرسالة و ما تحتوي على ما يقع ضمنها وهذا يعتبر الذكر العام وانتقل بعد ذلك الى جزئيات داخلة في هذا الدين والرسالة، فعند اختياره للفظ (أرسله) هذا الفعل مناسب جداً لبيان عظمة الرسالة الاسلامية ولعظمة هذا الدين العظيم وهو يختلف عن باقي الافعال مثل الفعل(بعث) فهو اقل شاناً من الارسال (ابو هلال العسكري، 1412هـ، ص289)، وبنظرة فاحصة على باقي الالفاظ وطريقة الربط بأدوات العطف والاستعمال اللطيف للترادف حيث نرى القوة التي تتجلى في هذا التركيب وبروز حدوده بل حتى تتعين معالمه وهذا له معنى بلاغي في ان مقتضى الحال وفي تلك الظروف التي تم بها هذا الكلام وبهذا السياق نستطيع ان نعين تلك الحدود والمعالم كمؤرخين مختصين في علم التاريخ فمن خلال الادوات اللفظية وخصائصها التي دخلت في تركيب هذا النسيج ذو التعبير المتناسق والتأليف بين المعاني المشتركة بالاضافة الى الزيادة في النظام الكلامي(قباوة، 2002م، ص259)، ان الاستعمال السلس لهذه الالفاظ التي تصف الرسالة وصاحبها لها من القدرة والمكانة على اظهار اسرار هذا المقام السامي للرسول الاعظم وفي نفس الوقت تعتبر احد الوسائل الاقناعية للمتلقي وتعد ايضاً من ابداعات صياغة النص.

ان الخطيب في خطبته يحاول ان ينقل حالة المتلقي من الشك الى اليقين ومن السكون الى التفاعل مع التجربة العملاقة للرسالة وكلما كانت الخطبة ذو بيان قوي وشواهد دقيقة كانت قوتها الضاغطة على المخاطب(الحوفي، 1938م، ص45) بحيث يتم سلبه كل المفاهيم الباطلة والاسس الغير صحيحة التي بنى عليها عقيدته وتصحيحها واعادة بناءها بشكل صحيح قوي لذلك نرى هذه القوة في خطب علي بن ابي طالب(عليه السلام) بشكل واضح وجليل وعلى افواه مناوئيه " قَاتَلَهُ اَللَّهُ كَافِراً مَا أَفْقَهَهُ"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج20، ص64)، فهذا الخارجي اقتنع تماماً بعلم علي(عليه السلام) وفقهه ولكن عداءه له لم يخرجه من تكفيره لعلي لغل قديم، وشاهدنا ان الجانب الاقناعي ومزاوجته مع الجانب الامتاعي تخرج لنا نتيجة رائعة جداً من الاثارة التي يريدها الخطيب المبدع(عبد المطلب، 1994م، ص235).

ان الاستعمال القصير والمحمل بالمعاني العميقة الموجزة والتي تبين دلالة ومضمون الرسالة السمحاء وصاحب الرسالة العظيم تزيد من سعة اشعاعه(فلسفي، 1427هـ، ص28)، ولا خلاف ان هذه الالفاظ مستلة من الفاظ قرآنية فقوله تعالى:" وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ"(سورة الطور، اية:2) وحسب رأي المفسرون الاجلاء ان القرآن الكريم جاءت عباراته مؤكدة لعبارة "العلم المأثور"، هذه الالفاظ الوصفية دقيقة جداً ومنسجمة لاننا نجد في هذا المقطع من الخطبة" أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَالنُّورِ السَّاطِعِ وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ "(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص136)، ان لفظة (السطوع) جاءت لتصف النور بينما لفظة (اللمعان) اتت لتصف الضياء اذا اضفنا الى هذه الالفاظ(أل) التعريف فأن معانيها

تزداد وتتزين بالعظمة(قباوة، 2002م، ص211)، ومن المعاني المقصودة لهذه الالفاظ هو ما اشارت اليه الاية الكريمة" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا"(سورة الفتح، اية: 28)، والكثير من الايات تؤدي الى نفس المعنى، ان التركيز على دقة الوصف والنعت للرسالة الاسلامية وبيان تجلياتها للتاكيد على عمق هذه الرسالة وازليتها والاهمية العظمى للبعثة النبوية المباركة لكي يتم رفع شبهات الاحتجاج ببينات واستخدام الايات الالهية للتخويف والتحذير من العذاب(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص142).

ان المقطع الاخر في الخطبة" إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَ اِحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ وَ تَحْذِيراً بِالْآيَاتِ وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ "(المصدر نفسه، ج1، ص212) فهذه الالفاظ تدرجت في الردع من الاقدام القليل الى الاكبر ثم الاكبر على اعتبار ان من اشتبهت عليه الامور واختلط عنده الحق بالباطل فقد وقع في المنطقة الوسطى المحصورة بين حق وباطل فيكون قلق مذبذب لايملك يقيناً في خطوته، ولكي يخرج من هذا الشبهة يحتاج الى بينه واضحة تدل على الحق دلالة حقيقية لا لبس فيها فالرسول الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) ابان البينة وبرهن عليها ولم يدع شك فيها فاستخدم بعد البيان الوعد والوعيد ولانه رحمة الله الواسعة فقد استخدم التحذير والذي هو اقل من التخويف واكثر دلالة على التنبيه والانذار بايات الله سبحانه وتعالى، وقد استعمل وسخر التخويف الذي يعتبر من الحالات الشديدة التي تجعل من الانسان مضطرباً لانها تهديد مباشر بالعقوبة وكل هذه كي لاتقع الانسان النقمات(المثلات) قال تعالى" وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ..."(سورة الرعد، اية: 6)، وهذه النقمة من الطبيعي ان تنزل بالانسان لردعه والتنكيل به نتيجة تجاوزه السنن الالهية والسنن التاريخية(محمد بن مالك، 1397هـ، ج1، ص222).

استخدم الامام علي(عليه السلام) في خطبته الشريفة التوازن بين امرين من حيث تقابلهما في امر الناس في الهدى والضلالة فالاولى تمثلت في مجاهدة الرسول الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) وسعيه الحثيث لبيان الرسالة و الدين وقيمهما لكي يتضح طريق الحق فتسير البشرية على النهج القويم والصراط المستقيم، اما الثانية فهي الكشف عن الامراض المجتمعية حيث ان الرسول الاعظم وكما وصفه امير المؤمنين في خطبه " طبيب دوّارٌ بطبّه"(ابن ابي الحديد، 2387هـ، ج7، ص138) يشخص احوال الناس وخاصة الذين غلبت شهوتهم عقلهم فأضاعوا طرق الاتصال بالله سبحانه وتعالى وساقهم غرورهم ان ينكروا الاخرة فيتمسكوا بالدنيا(ابن الزملكاني، 1383هـ، ص89)، ولبيان عظيم مجاهدة الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) فقد رسم لنا علي(عليه السلام) في خطبته صورة للمجتمع الذي كان قبل البعثة النبوية المشرفة"اِنْجذَمَ فِيهَا حَبْلُ اَلدِّينِ....شر جيران"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص136)، وكيف جوبه هذا الظلام القابع على صدور المجتمعات انذاك بالنور الذي حمله الرسول الاعظم فأخرجهم من تلك الفتن والتيه الذي اضر بالدين وبالتالي ضر بحياتهم من جميع نواحيها على اعتبار ان الدين نظام للحياة وقانون يعصم المجتمع من التيه، هكذا وظف الامام(عليه السلام) العبارات المكثفة بشكل متناسق ليضع موازنة بين هاتين الحالتين المختلفتين المتقابلتين (جمعة، 2005م، ص148).

ان الصور البلاغية التي رسمت خصائص تلك الفترة السابقة للبعثة النبوية، تبين وبشكل واضح وجلي عمق وقسوة المشاق والعنت الذي عاناه وتحمله الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) لاعلاء كلمة لا اله الا الله، وبنفس الوقت تبين وتوضح وتبرز مستوى الانحطاط لفئات استخفت بامر الدين وليس لها رادع عن تخطي حدود الله لانهم من اتباع الهوى ومحبي الشهوات.

ان اكثر الناس معرفة بالرسول الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) هو علي(عليه السلام) وهو نفس النبي" أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ" وعندما يتحدث عن تقلبه في الاصلاب ومنبته في ارحام اهله واسرته فقد ولد سالم من الصفات الذميمة بل ولد في الاخلاق المصفى حيث يقول امير المؤمنين في خطبته "مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ وَ مَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ فِي مَعَادِنِ اَلْكَرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ اَلسَّلَامَةِ "(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج7، ص68)، ومن المقامات المهمة التي نالها الرسول الاكرم(صل الله عليه وآله وسلم) هي خاتم الانبياء و سيد المرسلين و هو بعد ذلك اول المسلمين قرآنياً لانه النور الاول الذي خلقت منه باقي الانوار شاءت الارادة الالهية ان يكون خاتماً لتكامل الامتداد الرسالي للاطروحة الالهية" إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"(سورة البقرة، اية:

30)، لقد كانت العناية الالهية محيطة برسوله لتسدده الى مكارم الاخلاق ومحاسنها لتهيئته لحمل رسالة السماء وتحمل ثقلها، فأثمرت كمالاً وفضلاً لم يبلغه لنبي مرسل ولا ملك مقرب" وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(سورة القلم: اية:4)، يقول امير المؤمنين(عليه السلام)" حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله شهيدا وبشيرا ونذيرا خير البرية طفلا، وأنجبها كهلا، أطهر المطهرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج7، ص117).

فكان الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) من شدة حرصه على سلامة الرسالة والاهداف الالهية المتحققة ان دفع باهل بيته للتضحية في سبيل هذه الرسالة فقد وثق هذه التضحية علي بن ابي طالب(عليه السلام) في خطبته كنا" إِذَا اِحْمَرَّ اَلْبَأْسُ وَ أَحْجَمَ اَلنَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ اَلسُّيُوفِ وَ اَلْأَسِنَّةِ فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ اَلْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَ قُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ..."(المصدر نفسه، ج14، ص74)، بل ان الرسول الاكرم قد قدم اصحاب الكساء كلهم قرابين على دكة الرسالة الالهية الخالدة.

المبحث الثالث: بشرية النبي و الرسول الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) وخصائصها

بين الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد جنبه مهمة للرسول الاعظم و خاتم النبيين محمد (صل الله عليه واله وسلم)، و هي الجنبة البشرية من خلال بدنه والذي من خلاله يمارس حياته الطبيعية و يعبر عن احاسيسه من جوع وحزن و فرح وهذا التشابه في الانفعالات البشرية هو الذي يحدد الثواب لانه يكون خالصا لله و بعين الله اما باقي البشر فيتفاوت اخلاصهم ونياتهم، على اعتبار ان الوجود البشري بحد ذاته له مستويات وجودية، قال تعالى يذكر بها مقامات النبي ولكن من الجهة البشرية " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ"(سورة الكهف، اية: 110)، فتكون عندنا جهة بشرية لها خصائص تختلف عنا بالرغم من انها مثلنا لانها تمتلك روحاً ملكوتية ليست مثل ارواحنا فثقل الرسالة يحتاج الى روح قوية و متعالية وبالتالي هذه الروح تحتاج الى جسم ذو خصائص يتحمل هذه الروح"مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى"(سورة طه، اية 1-2)، وهذه الخصائص جعلت من المسلمين يتبركون من فاضل وضوء الرسول وشعره واظافره بل حتى دم الحجامة منه(الجديع، 1411هـ، ج2، ص308)، ولكي لا يدخل الفكر البشري بالغلو قال تعالى في محاججة النبي (صل الله عليه وآله وسلم) مع قومه قوله تعالى" وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا"(سورة الفرقان، اية: 7) فالمشركين يرفضون الوسيط البشري بينهم و بين الله سبحانه وتعالى فهم يطلبون ملك يرافق النبي" وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ"(سورة الانعام، اية: 8)، وكذلك نستطيع ان نعرف عظمة الرسول و الرسالة من عظمة المرسِل.

ان من الثابت تاريخياً ان الرسول الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) قد تولى تربية علي بن ابي طالب(عليه السلام)(ابن هشام، د.ت، ج1، ص245)، وهذه التولية لم تخضع لدوافع العاطفة او قلة ذات اليد عند ابو طالب ولكن كان الدافع المعرفة الحقة بروح علي وانه خير ناصر ومعين لنصرت نبيه ورسالته وهذا الاهتمام جعل علي يضع النبي اسوة له ومثال كاملاً يحتذى به للوصول الى الكمالات الالهية وهذا احد اسرار عظمة علي ابن ابي طالب(عليه السلام)(، ان كمية الاهتمام التي ركزها النبي في شخص علي جعل من تلك الشخصية تسمو وتعلو همتها حتى بلغ به الحال ان يكون لوحده جيش رسول الله ففداه بنفسه في ليلة المبيت بعد ان اطمان على سلامة النبي في حال هجرته بدونه (البيهقي، 1405هـ ، ج2، ص312)، لقد جعل رسول الله(صل الله عليه وآله وسلم) من علي أخا له بالاضافة الى قرابته على اعتبار انه ابن عمه (ابن سعد، 1410هـ، ج3، ص16)، وكذلك كان له سهم السبق بالاسلام حيث يقول في خطبته" و سلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول و سابقتي في الإسلام"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج2، ص119)، فلم يذكر في خطبته ان قرابته من النبي بل قال "قرابتي من الرسول" وهذه لها دقة في التعبير والبلاغة لان النبوة ختمت والرسالة مستمرة او باقية الى قيام يوم الدين، وعلى تكليفه في الحفاظ على الرسالة التي بعث بها الرسول الاعظم وبيان هذا الدين العظيم .

ان من شدة اهتمام علي(عليه السلام) بقدوته الحسنة جعله يتخذ القرآن له منهجاً ويتطابق مع بلاغته واختياراته للالفاظ فقد ذكر في نفس الخطبة قرابته من الرسول وقدمها على اسلامه على اعتبار ان للقرابة صلة متأصلة اعلى رتبة من السابقة وهذا ما اكد عليه القرآن الكريم" ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ..."(سورة الشورى، اية: 23) فقد ابرزت هذه الاية منزلة قربى رسول الله فأن لهم الشرف في الانتساب اليهم، وهذه القربى هي ليست نسبية فقط بل تشمل الارتباط الروحي والنفسي بينهما اذا اضفنا اليهما المؤاخاة التي زادت من قوة هذا الارتباط فجعلها الله كلاماً يتلى في اناء الليل واطراف النهار" فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ..."(سورة آل عمران، اية: 61).

لقد بين الامام علي(عليه السلام) في خطبته الاوضاع المجتمعية السائدة قبل البعثة النبوية ورسم صورة العرب وهم يعيشون العشوائية بالرغم من حملهم لعلوم من سبق من الديانات السابقة اليهودية والمسيحية وباقي الديانات التي حوتها الجزيرة العربية، فمن الله عليهم بنبيه فبدل حالهم وغير امرهم واخرجهم من الظلمات الى النور فقال(عليه السلام) "فساق الناس حتي بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج1، ص81) وهنا نرى كيفية استخدام سيد البلغاء للفعل (ساق) وهو يدل على كامل التسليم للرائد الذي لا يريد بأهله الا خيراً فبلغ بهم مكاناً تبوؤوا به مكاناً رفيعاً بين الامم من قوة ومناعة، وهذا الفعل(ساق) قد استخدمه القرآن الكريم"إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ"(سورة القيامة، اية: 30).

اننا نرى الاخلاق النبوية قد نحتت صورتها الحقيقية على شخص الامام علي(عليه السلام) وهذا ما نستشفه في مطلع كلامه حينما يريد ان يبتدأ الحديث عن الرسول حيث قال"إذا حدثتكم عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه..."(ابن كثير، 1407هـ، ج7، ص290)، وهذا الاستهلال بدأه أمير المؤمنين ليسد به افواه المنافقين والمرجفين والذين يكذبون على الرسول الاكرم فبين عظمة ومسؤولية الكذاب امام الله واما الرسول بل حتى في الحساب الدنيوي، وبين جراءة وعظيم المعصية التي لا تغتفر اذا ما كذب الانسان على رسول الله فصور هذه الجراءة والامر المهول كما جاء في كلام الله المجيد" حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ"(سورة الحج، اية: 31)، وهذه صورة الرعب من السقوط من السماوات الى الارض هي احب الي من الكذب على رسوله.

ان البارز في خطب علي بن ابي طالب(عليه السلام) هو ثناءه الدائم على الرسول الاعظم بعد التسبيح والتمجيد لله الواحد القهار وشدة بيانه على انتسابه الى الرسول الاعظم، وفي هذا لفت للانظار وعملية تهيئة للقلوب كما في خطبته في حرب النهروان" نحن أهل بيت النبوة و موضع الرسالة و مختلف الملائكة و عنصر الرحمة و معدن العلم و الحكمة نحن أفق الحجاز"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج2، ص283)، فثبت فيها الحقائق المتصلة والمرتبطة كلياً بالرسول الاكرم(صل الله عليه وآله وسلم) فربط الالفاظ كلها من نبوة ورسالة ورحمة وملائكة وعلم وحكمة الى الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) واهل البيت قد انتسبوا اليه بأعتبارهم ورثته والقائمون على الدين من بعده فهو امانة في اعناقهم، فلم يكذبوا طرفة عين ولم يشركوا في الله فهم اول من صدق الرسول فلا يكونون اول من يكذب عليه حاشاهم" فو الله لان أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم"(المصدر نفسه، ج6، ص133)، فهذا الاستنكار البلاغي بطريقة استفهامية تحتوي بين طيات الفاظها الردعة والزجرة، وبعد هذه الصدمة اكمل كلامه بالبينات الساطعة والثابتة عند جميع المسلمين (فأنا اول من صدق به)، فهذه المنزلة الرفيعة لايمكن ان اهدمها بالكذب على رسول الله (فلا اكون اول من كذب عليه)، وهذه البينة البلاغية هي افضل من كل ادوات وانواع التوكيد اللفظي والمعنوي.

حاول الامام(عليه السلام) في كل خطبه وحكمه الخاصة بالنبي(صل الله عليه وآله وسلم) ان يبين للناس الاسرار التي اودعها الله سبحانه وتعالى في نبيه ويقربها الى عقولهم ليستوعبوا، مراعياً المستويات الفكرية وحال ايمانهم ونفاقهم وهذه من اهم مقومات الخطيب في ايصال مايريده الى ابسط العقول وبأبسط الوسائل مع تعدد الوسائط، لقد اظهر امير المؤمنين من خلال خطبه رسوخ ايمانه بالرسالة المحمدية من خلال دوام

تفكير المؤمنين بل حتى اعداءه كيف كان يعيش مع رسول الله في الشدة والرخاء وان هذا الايمان ثابت لا يتزعزع "وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً"(ابن ابي الحديد، 1387هـ، ج4، ص33)، فقد اسقط الايمان بالرسالة الحقة كافة الروابط القبلية وبذلك اوصل فكرة للمقارنة بين المواقف في زمن الرسول وبين تغير مواقف بعض الصحابة ليثير فيهم استنهاض الهمم ويدفع عنهم بطلان ما يدعون وكذب ما يفترون ففند حجتهم حيث يقول" أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) أشهد على نفسي بالكفر"(المصدر نفسه، ج4، ص129)، فهذا اليقين والايمان الراسخ بالله عز وجل وتصديق رسوله فقد قدم كل التضحيات فوصل الى ان يكون خليفة الله في الارض وقرآنه الناطق وممثلاً عن رسول الله، وهذه الكلمات كانت رادعاً عن سوء فعل الناس وافعالهم الدنيئة التي ابعدتهم عن طريق الحق" فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ"(المصدر نفسه، ج3، 325)، ان هذه الشدة والذوبان في نوعية الارتباط مع الله ورسوله لا يمكن ان تنفك في اي حال من الاحوال وفي هذه المرحلة لايمكن ان نكذب هذا الخطيب او نفتري عليه وليس امامنا سوى التسليم لنصائحه للخروج من الذل الى حياة الكرامة من خلال السير على طريق الهدى كان هذا حديثه موجهاً الى القلوب المضطربة اما حين خاطب اصحابه ذوي القلوب الثابتة الايمان بالرسالة والرسول وبه قال" وَ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اَللَّهِ وَ مَعَ اِبْنِ عَمِّ رَسُولِ اَللَّهِ"(المصدر نفسه، ج1، ص234) فهذه الكلمات زادتهم ايماناً وطمأنينة على انهم يدافعون عن كلمة الله فمثل ما كان الرسول اماماً لهم فأن ابن عمه ووصيه اماماً لهم وللمسلمين وهذا الحضور هو المدد لعزيمتهم وقوتهم.

تنقسم الموجودات الى انسان وحيوان وجمادات وكلها كائنات حية تشترك بالكثير من الخصائص والصفات ولكن الانسان يختلف عنها بانسانيته، وكذلك هناك مشترك بين الملائكة والانسان وهو العقل وهذه المشتركة الحقيقية قابلة للشدة والفتور، وهذا ماطالبت به الامم السايقة من الانبياء بأن يكون معه ملك، وامتاز الانسان ايضاً عن الملائكة بوجود الغرائز وهنا يكون الصراع بين العقل والغريزة وايهما غلب يكون مسيطر على الاخر(الاحتجاج ، 1386هـ، ج1، ص257)، ولو قارنا بين الانبياء والملائكة فقد وصف الله سبحانه وتعالى قدرة جبرائيل العظيمة" ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ " و " مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ"(سورة التكوير، اية 20-21)، وبالرغم من هذه القدرة العظيمة ونورهم لم يصلوا الى نور ادم الخَلق الاول وحقائق علمه، فعند طرح امر الخلافة الالهية اعترضوا " قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"0سورة البقرة: اية 30).

اذاً ان النور الوجودي والعقلي هو اوسع واكبر من سبع سماوات لانه يتسع لله سبحانه وتعالى وهونوع من التفكير والتدبير وذائقة وجدانية (المحجة البيضاء، 1983م، ج5، ص26)، فنحن نعلم ان العقل والقلب ليس لهما حركة مكانية بل هو التفات وادراك وتفكر في ملكوت السماوات والارض للوصول الى المعرفة الالهية (الكافي، 1363هـ، ج1، ص26)، ومن هنا كلما كانت النفس والروح كاملة وبالغة حد كمالها كانت مؤيدة بروح من امر الله" وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(سورة الشورى، اية: 52)، فالذي اوحى هو الله سبحانه وتعالى والموحى هو روح القدس والنبي الاعظم هو الموحى اليه، وهذا الوحي هو بواسطة الروح اما تعلم النبي فمن الله مباشرة " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا "(سورة البقرة، اية: 31)، على اعتبار ان (ادم) الاول او النور الاول هو نور محمد(صل الله عليه وآله وسلم) " وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين"(سورة الانعام، اية: 163)، وهذا ادم الاول فلا يمكن ان يعصي الله سبحانه وتعالى ولكن ادم الطين الخلق الاول المادي هو الذي عصى ربه فغوى ثم تاب عليه.

الخاتمة

ان من الصعب جداً ان تقتحم بحراً لجياً بادوات وعقول بسيطة، فكيف بنا اذا كان الخطيب والشارح علياً والمراد بيانه النبي الاكرم(صل الله عليه وآله وسلم) فتلك مسؤولية ومهمة شاقة جداً لكي لا تزل قدم بالوصف والتوصيف او بالفهم الغير صحيح.

بحثنا يختص بالمقامات التي ذكرها علي بن ابي طالب(عليه السلام) في نهجه فهو نفس رسول الله وهو بذلك يكون الاعلم بالسيرة والمسيرة ونفس الرسول الكريمة، لقد اخذنا بعض المقامات التي ركز عليها امير المؤمنين في خطبه والتي تزينت بهذه الصفات الشريفة النبي الاعظم فتم ابراز الدلائل من خلال المقارنة اللفظية واللغوية المنطوية في انساق النص، تبين لنا من خلال البحث ان هناك مقام للنبوة ومقام للرسالة ومقام البشرية والحياة التي عاشها النبي في امته وبين اصحابه وكل مقام له خصائصه وصفاته وحدوده، فالنبوة حاكمة على الرسالة والبشرية وهي اعلى مقام من مقام الرسالة ومقام الرسالة اعلى من مقام البشرية وهي حاكمة عليه وكل هذه المقامات تخضع لمقام الوحدانية الالهية، ان هذا القليل الذي سطرناه في هذا البحث هومحاولة بسيطة لبيان المنزلة الرفيعة والرتبة العالية للنهج البلاغي ومن خلال هذه البلاغة استطعنا ان نبين للمقامات الرفيعة للنبي الاعظم.

المصادر

- القرآن الكريم.

- ابن ابي الحديد، عز الدين ابي حامد بن حميد(ت 656هـ)، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، تحقيق: حسين الاعلمي، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،1387هـ.

- ابن الزملكاني(ت 651هـ)، التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القران، تحقيق: احمد مطلوب ، بغداد: مطبعة العاني، 1383هـ.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر(ت 751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

- ابن سعد، محمد بن سعد(ت 230)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774)، البداية و النهاية، بيروت: دار الفكر، 1407هـ.

- ابن مالك، محمد جمال الدين(ت 672هـ)، عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد: مطبعة العاني، 1397هـ.

- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

- ابن هشام، عبد الملك(ت 218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

- ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله(ت 395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، 1412هـ.

- احمد محمد الحوفي، أحمد محمد، فن الخطابة، القاهرة: نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، 1938م.

- الاصبهاني، عبد الله بن محمد(ت 369هـ)، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد، بيروت، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت 458هـ)، دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ.

- الجوهري، ابو نصر بن اسماعيل(ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور، بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1413هـ.

- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمدا(ت 502هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق : محمد عبد العزيز، ط1 ، مصر: جامعة طنطا، 1420هـ.

- الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، قم: دار الحديث، 1421هـ.

- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس (ت 1205هـ)، تحقيق : عبد الستار احمد، بيروت: دار الفكر، 1414هـ.

- الصدر، محمد باقر(ت 1980م)، المرسل الرسول الرسالة، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، 1412هـ.

- الطباطبائي، محمد حسين(ت 1402هـ)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1417هـ.

- الطباطبائي، محمد حسين(ت 1402هـ)، تفسير الميزان، بيروت: مؤسسة الاعلمي، ط1، 1417هـ.

- الطبرسي، احمد بن علي(ت 1403هـ)، الإحتجاج على أهل اللِّجاج ،مشهد: المرتضى، ط1، 1386هـ.

- الطبرسي، الفضل بن الحسن(ت 548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الاعلمي، ط1، 1415هـ.

- الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، محمد بن الحسن بن علي، بيروت: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع،1406هـ.

- العلامة الحلي، الحسن ابن يوسف(ت 726هـ)، النافع يوم الحشر في شرح الحادي عشر، تحقيق: المقداد السيوري، بيروت: دار الاضواء العربية للطباعة والنشر، ط2، 1417هـ.

- الفيض الكاشاني، محسن(ت 1091هـ) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، تحقيق:علي اكبر الغفاري، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1983م.

- الكليني، محمد بن يعقوب(ت 329هـ)، اصول الكافي ، تحقيق: علي اكبر الغفاري، 1363هـ.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ.

- جمعة، حسين، التقابل الجمالي في النص القرآني(دراسة جمالية فكرية واسلوبية)، دمشق: دار التمييز للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

- عبد المطلب، محمد، البلاغة الاسلوبية، القاهرة: دار نوبار للطباعة، 1994م.

- فلسفي، محمد تقي، البيان و فن الخطابة، ترجمة: عباس حسين الاسدي، بيروت: مؤسسة البعثة، ط2، 1427هـ.

- قباوة، فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته، القاهرة: دير توبلر، ط1، 2002م.

- محمد الجديع، ناصر عبد الرحمن محمد الجديع، التبرك انواعه و احكامه، الرياض: مكتبة الرشد، 1411هـ.

- ناصر، مجيد بدر، نعوت الرسول محمد(ص) في القرآن الكريم(دراسة دلالية)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 1433هـ.